ياسين سويد يحاضر عن جبل عامل ايام المعنيين والشهابيين :

الولاة «التزموا» الجبل والعامليون ثائرون بالفطرة



من اليمين العقيد سويد والدكتور مكي ..

(علي حسن)

الصفحة الرابعة من « تاريخ جبل عامل » تتناول الجنوب في عهد الامارتين المعنية والشهابية وقد قدمها امس وذلك في سلسلة المحاضرات التي ينظمها المجلس الثقافي للبنان الجنوبي .

قدم الدكتور عباس مكي للمحاضرة فقال : غني عن البيان ان الجهد المتواضع الذي يقوم به المجلس انما هو التزام بواجبه الوطني نحو لبنان عامة ونحو جنوبه خاصة ، واستكمالا لمهمته الثقافية في التعريف العلمي بتاريخ هذا الجزء الذي لا يتجزا من الوطن والذي كان يعرف في ما مضى باسم « جبل عامل » .

ان المساحة الزمنية لمحاضرة اليوم (امس) شاسعة وحافلة بجليل الاحداث،فهي تشمل عهدين عظيمين في تاريخ لبنان والمنطقة هما : العهد المعني والعهد الشهابي .. والمحاضر العقيد متخصص بالتاريخ علاوة على تخصصه العسكري ..

عقب ذلك استهل العقيد سويد محاضرته بالحديث عن جبل عامل في العهد المعني ، فاشار الى الاسر الاقطاعية التي كانت تتزعم العامليين في ذلك العهد ، وصراع هذه الاسر فيما بينها على الزعامة والسلطة ، وذلك كله ضمن دائرة السلطنة العثمانية التي كانت غالبا«تكتفي من الاقطار التي تفتحها بالضرائب والجند تاركة امر الحكم لولاة يتدبرون امورهم بواسطة اقطاعيين غالبا ما بكونون من اهل تلك الاقطار » .

وتابع المحاضر : هكذا كان الولاة العثمانيون « يلزمون » جباية الرسوم والضرائب المترتبة على جبل عامل الى من يرغب من رجال الاقطاع في ذلك العهد ، وكان فخر الدين المعني الثاني اول الامراء المعنيين الذين تقدموا « لالتزام » جبل عامل في العهد العثماني ، وقد « التزمه » عام ١٦٠٣ وظل مثابرا على ذلك طيلة ثلاثين عاما حتى اسر عام ١٦٣٣ .

الا انه بعد غياب فخر الدين عن المسرح السياسي ضعفت سلطة خلفائه المعنيين على هذا الجبل فلم يكن حكمهم له مستقرا بل تخللته ثورات واضطرابات كثيرة ، فوقعت بين العامليين والمعنيين معارك عديدة اهمها: وقعة انصار (١٦٣٨) وعيناثا (١٦٦٠) والنبطية (١٦٦٦) والكفور (١٦٦٧) .

وانتقل المحاضر الى الحديث عن الشهابيين الذين خلفوا المعنيين في حكم امارة الشوف في اواخر القرن السابع عشر الميلادي (١٦٩٧). فاشار الى ان هؤلاء ايضا طمحوا كأسلافهم المعنيين الى حكم جبل عامل « بضمان من والي صيدا » الا ان حكمهم له لم يكن مستقرا كذلك ، لذا غالبا ما كانت تنحصر مهمتهم في معاونة الولاة « في جباية الاموال والضرائب المترتبة على العامليين اذا تمنع هؤلاء عن دفعها » وقد تعددت المعارك بين العامليين وهؤلاء الامراء (المزيرعة عام ١٦٩٨ والنبطية عام ١٧٠٧ ويارون عام ١٧٣٤).

كما اشار المحاضر الى الوفاق الذي بلغ حد الود والتحالف بين العامليين والامير منصور الشهابي (١٧٦٣ ــ ١٧٧٠) ثم انتقل الى الحديث عن ظهور الشيخ ناصيف النصار كزعيم للعامليين فقد وحد صفوفهم وجمع كلمتهم وقادهم الى النصر .

وتحدث المحاضر عن تحالف العامليين في هذه الحقبة من تاريخهم مع الشيخ ظاهر العمر «حاكم ديار عكا وصفد» . ومع محمد علي بك الكبير حاكم مصر وقائده محمد بك ابو الذهب ، ضد العثمانيين وحلفائهم الشهابيين وذلك في عهد الامير يوسف الشهابي . كما اشار المحاضر الى خضوع جبل عامل لحكم احمد باشا الجزار والي عكا طيلة حكم هذا الاخير ، وحتى وفاته عام ١٨٠٤ .

وتناول المحاضر بعد ذلك علاقة العامليين بالشهابيين في عهد الامير بشير الثاني وتحالف العامليين مع العثمانيين (لاول مرة في تاريخهم) وذلك لمحاربة ابراهيم باشا وحليفه الشهابي وذكر بهذا الصدد ثورة حمد بك المحمود على المصريين وحلفائهم .

واختتم المحاضر حديثه عن الشخصية العاملية في عهد الامارتين بوجهها العسكري فوصف العامليين بانهم « ثائرون بطبيعتهم مقاتلون بفطرتهم الا انهم لم يكونوا يتبعون في قتالهم تكتيكا « محددا » سوى اسلوب الكر والفر »

وقد زخرت محاضرة العقيد الدكتور سويد بالاستشهادات المبنية على شهادات المؤرخين العامليين امثال آل صفا ومحسن الامين ومحمد تقي آل فقيه واحمد عارف الزين واحمد رضا وعلي الزين ، وعلى شهادات المؤرخين الاجانب امثال البارون دي بوت ، واعتمد الى حد كبير على تقارير القناصل الفرنسيين الذين كانوا يقيمون في صيدا في تلك الحقبة من الزمن .

● عقب المحاضرة جرت الاشارة الى محاضرة تالية يلقيها الخميس المقبل الدكتور منذر جابر في موضوع « الكيان السياسي لجبل عامل ما قبل العام ١٩٢٠ » .

السفير، ٢٠ تموز ١٩٧٩، صفحة ١٠